

سورة الأنفال

١٦٢ - قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ [١٠]، وقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾ [١٣]، وقوله: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (٣٩) وقد سبق (١).

١٦٣ - قوله: ﴿كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [٥٢]، ثم قال بعدها آية: ﴿كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [٥٤].

قال الخطيب: قد أجاب فيها بعض أهل النظر بأن قال: ذكر في الآية الأولى عقوبته إياهم عند الموت كما فعله بآل فرعون، ومن قبلهم من الكفار، وذكر في الثانية ما يفعل بهم بعد الموت كما فعله بآل فرعون ومن قبلهم، فلم يكن تكراراً.

قال الخطيب: والجواب عندي: أن الأول إخبار عن عذاب لم يمكّن الله أحداً من فعله، وهو ضرب الملائكة وجوهمهم وأدبارهم عند نزع أرواحهم، والثاني: إخبار عن عذاب مكّن الناس من فعل مثله، وهو الإهلاك والإغراق.

قلت: وله وجهان آخران محتملان:

أحدهما: كذاب آل فرعون فيما فعلوا، والثاني: كذاب آل فرعون فيما فعل بهم، فهم فاعلون على الأول، ومفعولون [مفعولاً بهم] (في) الثاني.

والوجه الآخر: أن المراد بالأول: كفرهم بالله، وبالثاني: تكذيبهم بالأنبياء؛ لأن تقدير الآية: كذبوا الرسل بردهم آيات الله.

(١) لم يذكر المؤلف قوله تعالى في سورة «الأنفال»: ﴿فَدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [٣٥]، وفي «الأعراف»: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [٣٩]؛ لأن ما في «الأعراف» جاء بعد مناقشة بين أهل النار، وادعاء كل فريق أن على غيره ضعف العذاب بما أصله، يعنى على قدر اكتسابه من الإثم فناسب ﴿تَكْسِبُونَ﴾ أما «الأنفال» فما قبلها خاص بالكفار، وصلاتهم عند البيت، وهم كفار قريش، وليس فيها ما يدل على زيادة كسب على كسب، فجاء على الأصل تكفرون. انظر درة التنزيل (١٨٨).. بتصرف.
وراجع متشابه القرآن للقاصي عبدالجبار (١/١٣٦ / مسألة ٢٧٥).

وله وجه آخر، وهو: أن يجعل الضمير في ﴿كَفَرُوا﴾ لكفار قريش، على تقدير: كفروا بآيات الله كدأب آل فرعون وكذلك الثاني: كذبوا بآيات ربهم كدأب آل فرعون.

١٦٤ - قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٧٢] في هذه السورة بتقديم ﴿أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾^(١) وفي «براءة» بتقديم: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٢٠]؛ لأن في هذه السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنمة في قوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [٦٧]. ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَأْكُمُ فِيهَا أَخَذْتُمْ﴾ [٦٨] أي من الفداء. ﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [٦٩] فقدم ذكر المال، وفي «براءة» تقدم ذكر الجهاد، وهو قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [١٦]، وقوله: ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [١٩]، فتقدم ذكر الجهاد في هذه الآي في هذه السورة ثلاث مرات، فأورد في الأولى: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وحذف من الثانية ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ اكتفاء بما في الأولى، وحذف في الثالثة^(٢): ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾.

(١) فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري (ص ١٦٠) مسألة رقم (١٩).

(٢) يريد الأولى، والثانية، والثالثة ما في آخر «الأنفال».